المحاضرة الثامنة :المجالات الزراعية والماء

1) الماء:

-تعريف السقي:

يعرف السقي بأنه الاستعمال الصناعي للمياه العذبة لتعويض غياب مياه الأمطار أو عدم كفايتها لفلاحة الأرض فالمياه من أهم العوامل التي تتحكم في الإنتاج الزراعي، وقد قسمت الأراضي التي تحتاج إلى للماء إلى نوعين، أرض لا تحتاج إلى الري وتكتفي بماء المطر قل أو كثر وتسمى **"البعل"** وهذه أن سقيت ضرها الماء ولم ينفعها ، وأخرى تحتاج إلى السقي ولا يتم الزرع فيها إلا به وتسمى **"الأرض السقوية أو أرض السقي** "وهذا النوع هو الأحمد عاقبة والأضمن سلامة، وقد قسمت المصادر التاريخية مصادر السقي وأنواعها ؛وقد صنفت مصادرها إلى ثلاثة أقسام وهي:

مياه الأمطار، مياه الأنهار، المياه الجوفية(الباطنية) التي تضم مياه العيون والآبار.

-تجميع مياه المطر:

لم يكن الاعتماد على مياه المطر في المناطق التي تفتقد إلى مصادر المياه الأخرى مأمونا نظرا لفترة الجفاف الطويلة التي كانت تمر بها بلاد المغرب من الحين لآخر، خاصة في المناطق التي تحتاج حقولها إلى السقي ولا يكون لها مصدر للماء إلا المطر، مما دفع الفلاحين إلى تجميعه وتخزينه في وقت الحاجة.

-الخزانات الباطنية:

يحول الماء المجموع من أسطح المنازل إلى خزانات باطنية تنشأ تحت الأرض تسمى **"المواجل"**؛ والماجل عبارة عن حفرة في الأرض عمودية مستطيلة الشكل تتخذ شكل القارورة المستديرة القاعدة الضيقة الفم، ويخضع الماجل بعد حفره إلى التهيئة فيبنى القاع والجدران بالحجارة وقد تطلى بالملاط لتصبح كتيمة تمنع تسرب الماء المخزن في الطبقات الأرضية المتصلة بها. وقد كانت هذه الخزانات معروفة ومنتشرة ببلاد المغرب منذ عهد الفينيقيين ومن بعدهم الرومان واستمر وجودها وازدهر بعد الفتح الإسلامي للمغرب، وقد اعتمد عليها في إفريقية وبالتحديد في القيروان وضواحيها أكثر من المغرب الأوسط والأقصى، أما الجهة الغربية من المغرب فلم تعرف تطورا مماثلا في العهد الموحدي حيث كشفت الأبحاث الأثرية عن وجود بعض الخزانات التي تعود إلى هذا العصر، والملاحظ أن المصادرسمت الخزان الباطني بأسماء كثيرة فهو الماجل، الماجن، الصهريج، بئر المطر، الحوض، الفسقية، الجب.

- السقي بمياه الأنهار:

تحتوى بلاد المغرب على الكثير من المجاري المائية لكنها تتميز بضعف تدفقها وقصرها فهي تدرك البحر أو تضمحل في الأحواض المغلقة بسرعة، ومعظمها أودية يجري فيها المطر عند

هطول المطر، والبعض يأتها الماء من العيون أو ذوبان الثلوج في قمم الجبال، بينما الوديان التي يناهز طولها أو يفوق طولها 500كلم نادرة وهي تقع جميعها أغلبها بالغرب الأقصى باستثناء واد الشلف الذي يقع في الجزائر .

-استغلال مياه الأودية:

أن السقي بمياه الأودية يتم بعدة طرق كثيرة منها نقل الماء من الوادي إلى الحقل باستعمال قنوات مائية تسمى **"القواديس أو السواقي"**، وقد أشار ابن الخطيب إلى أن عيسى بن يزيد الأسود، مؤسس مدينة سجلماسة سنة 140ه/757م قام بتنظيم مياه "واد زيز" وقسمها بالتساوي بين قنوات تخترق الحقول والبساتين، كما تحدث ابن الصغير المالكي عن تحسن الأحوال بمدينة تهرت في ولاية ثالث الأئمة الرستمين أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم(ت240ه/850م)،فقال"... وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنوا القصور والضياع خارج المدينة وأجروا الأنهر.." ويقصد هنا بإجراء الأنهار إنشاء القنوات والسواقي التي تنقل المياه إلى البيوت والبساتين.

2)المجالات الزراعية :

شكلت الفلاحة أحد أهم قطاعات التي قام عليها الاقتصاد في العالم الإسلامي، وطورت بفعل إحياء الأراضي الموات واستصلاحها واستنباط المياه الخفية وإقامة المنشآت المائية على الينابيع والأنهار ومد قنوات الري، وقد استفاد علماء الفلاحة المسلمون من علوم الأوائل في التأثيث لمعرفتهم بالفلاحة النظرية، وكان لازدهار الترجمة بالغ الأثر في ذلك كما استفادوا من تجاربهم الشخصية في الفلاحة العملية.

-أهم كتب الفلاحة العربية :ترك المسلمون والعرب أرث ضخم في مجال الفلاحة ذلك أنهم ألفوا العديد من الكتب في هذا المجال من أجل تدوين خبراتهم ومشاهدتهم الميدانية للاستفادة منها ومن هذه المؤلفات نجد:

-كتاب "الفلاحة النبطية" لأبي بكر أحمد بن على بن المختار النبطي المعروف "بابن وحشية "وذلك سنة391 هـ تقريبا.

-كتاب" فلاحة الأرض لأبطرليوس" ليحي بن خالد بن برمك "سنة197هـ.

-كتاب" الفلاحة الرومية" ألفه "قسطوس الرومي" وترجمه "سرجس بن هليا الرومي" طبع في القاهرة سنة1393هـ.

-كتاب "الفلاحة الأندلسية" لمؤلفه "أبي زكرياء يحي بن محمد بن أحمد "المعروف "بابن العوام الأشبيلي" وهو خير كتاب زراعي ألف في الفترة الوسيطة ؛نقله إلى الإسبانية القس بانكري سنة1803م وإلى الفرنسية كلمان موله بين سنوات 1846-1867م.

-كتاب "المجموعة" لصاحبه "عبد الرحمان بن محمد بن عبد الكبير بن يحي بن وافد بن مهند اللخمي المكنى "بأبى المطرف" وهو من علماء القرن الخامس.

-كتاب" قوانين الدواوين" "لابن مماتي" واهتم بالأوضاع الزراعية بمصر في أواخر عهد الفاطميين.

-كتاب "جامع فوائد الملاحة في علم الفلاحة " لمؤلفة" رياض الدين محمد بن محمد بن أحمد الغزي العامري" طبع في دمشق سنة 1399هـ.

-المحاصيل الزراعية في بلاد المغرب الأوسط:

لقد تنوعت المحاصيل الزراعية في بلاد المغرب الإسلامي من منطقة إلى أخرى وذلك حسب النطاقات المناخية الذي ينعكس على تنوع الترب الذي بدوره يؤدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية ومن هذه المحاصيل نجد:

-الحبوب :انتشرت زراعة الحبوب بسهول متيجة وبرشك وتنس، مستغانم، هران، تاهرت، مازونة، تلمسان وقد انتشرت زراعة القمح مجاليا في بوادي المغرب الأوسط بكثرة .

فزراعة القمح والشعير والحنطة في كل من بونة وجزائر بني مزغنة، تنس، مرسى الدجاج، برشك، شرشال. أما الأدريسي فيذكر في قرى المغرب الأوسط قرية ازكر وقرية البرذوان وقرية النهربين وكل هذه القرى كانت بها غلات من القمح والشعير وكذلك المناطق المحيطة بالمسيلة وقرية ماما.

- الفواكه: ففي بلاد السوس قرى كثيرة عامراتها متصلة ببعضها البعض وبها من الفواكه الجليلة أجناس مختلفة وأنواع كثيرة؛ كالجوز والتين والعنب العذاري والسفرجل والرمان الإمليسي وألاترج الكبير المقدار الكثير العدد وكذلك المشمش والتفاح المنهد وقصب السكر....كما تعتبر بلاد سوس بلاد حنطة وشعير وأرز.

-النخيل: المنطقة الواقعة جنوب جبال الأطلس أشد حراراه وتتواجد بها أشجار النخيل الذي يحمل كمية هائلة من التمر التي تسوق إلى بلاد البربر وتستخدم كعلف للحيوانات بدل الشعير لأن التمر يشكل ثروتهم الرئيسية، ويوجد على الأرض الواقعة بين هذا النخيل بقرب المياه أشجار مثمرة وخضر.

-الخضر: مارس سكان بلاد المغرب زراعة الخضر على نطاق واسع لحاجتهم الشديدة لها .